سهرة غير ممتعة

إبراهيم عبدالجليل الإمام

كنت ابحث عن قصة .. كان ذلك حين اعلنت دار نشر عن رغبتها في نشر مجموعة قصص .. تضم كثيرًا من القصص بأقلام مختلفة.

اشترطت الدار هذه المرة ان تكون القصة مرعبة .. لأسباب كثيرة انتشر هذا النوع هذه الأيام وصار له جمهور عريض يتسع ويزداد كل يوم ..

كانت جعبتي خالية الوفاض من هذا النوع من القصص .. يمكنني ان اكتب عشرات القصص لكنها ليست مرعبة .. يكفي في القصة ان تكون مسلية وبها شيء من العبرة او الحكمة او رسالة مبطنة .. أما أن تكون مرعبة فلا أدري سبب كل هذا الحب للرعب .

كتبت على صفحتي في الفيسبوك عن رغبتي في كتابة قصة فيها شيء من الرعب .. عسى أن أجد لدى أصدقائي ما يصلح للنشر بعد تحويره وتشذيبه .

الغريب في قصص الرعب انها مرعبة حقا وينصح أن لا تقرأ ليلا او في مكان مغلق وإلا .

أنا الآن اكتب هذه القصة في مقهى عام خشية ان يصيبني شيء من هذه الـ وإلا .

وصلتني عدة رسائل من اصدقائي .. قرأتها في عجالة .. استوقفتني رسالتين إحداهما من صديقي بشير يخبرني بقصة حدثت له ذات يوم .. علها تكون مفيدة لمشروعي .. وجدت بين طياتها ما يجعلها مرعبة حسب تعريفي المتواضع للرعب .

لن اطيل سأترككم مع قصة صديقي .. عليكم التأكد من انكم تقرؤون هذه القصة في مكان مفتوح أو وسط رفقة من الناس حتى تتفادوا هذه ألـ وإلا .

قال بشير :

دخلت إلى غرفتي مبكرا كعادتي في فصل الشتاء .. كان الجو باردا شديد البرودة يغري بالنوم والاستغراق في الأحلام .. نمت سريعا كما تتطلب مثل هذه الظروف .. لكن سرعان ما استيقظت .. لا

أذكر السبب لكنه ليس العطش كعادتي في ليالي الصيف .. كما انه ليس حاجتي لدخول دورة المياه كعادتي في الشتاء ..

حاولت العودة لما كنت فيه من نوم عميق دون جدوى .. تقلبت كثيرا في فراشي دون فائدة ..

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل إلا دقائق معدودة .. تناهى إلى مسمعي صوت عزف غيطة .. لو كنت من ابناء واحتي فلن تحتاج لتعريف الغيطة .. اما ان كنت من مكان غيرها فعليك أن تعرف انها

ألة عزف تجمع في شكلها بين الناي والبوق ..

أسخت السمع – الكلام هنا لبشير – لم يكن عزف آلة الغيطة لوحده ما اسمعه بل كانت مصاحبة بضرب الدفوف .. لم يكن هذا وقت اقامة اعراس التي عادة ما يحتفل فيها بعزف الغيطة والرقص حتى الصباح ..

هذا اذا مجلس انس في مكان ما تقيمه شلة ما .. هذا ما اطار ما تبقى لي من رغبة في النوم .. قمت من سريري .. استبدلت ثيابي

بشيء من الحذر حتى لا افسد على اخي مصطفى نومه .. كان يبدو مستمتعا بنومه فاتحا فمه كعادته حين يستغرق في النوم .

خرجت من البيت بعد ان استعنت باثقل ثيابي .. توقفت ي مدخل شارعنا لأحدد مكان الصوت .. كان قادما من يساري .. هذا يعني امرا واحدا لا غير .. ان مجلس الانس هذا مقام في الواحة العتيقة .

لمن لا يعرف – الكلام الآن ليس لبشير – ان مدينة مقسمة الى قسمين .. قسم تشغله الواحة العتيقة بمبانيها الطينية وكل تاريخها القديم والعريق .. اما القسم الآخر فهو مدينتنا الحديثة ببيوتها ومدارسها وكل مرافق الحياة العصرية ..

توجهت صوب الواحة العتيقة – لا شك انك تعلم آن الكلام هنا لبشير – لم تكن تبعد عن بيتنا سوى عدة مئات من الامتار .. اقترب صوت العزف كلما تقلصت المسافة بيننا .. اسجمت مع اللحن المعزوف على الرغم من بعد المسافة .. هذا ما حفزني لمواصلة السير .. فجأة انتبهت لوقع خطوات خلفي ..

التفت بشيء من الحذر .. توقعت ان تكون قطة ساهرة او كلب متشرد فهذا افضل وقت للبحث عن الطعام .. الغريب ان من كان يسير خلفي كان أخي مصطفى .. على بعد عشرين مترا مني .. الاغرب من ذلك انه لم يكن من عشاق هذا الفن .. كما انه لم ينادني حتى ليستفسر مني عن سبب مغادرتي السي والبيت ! .. لكن لماذا لا يرتدي نظارته الطبية ؟

سرت عدة امتار .. التفت للتأكد من شيء آخر لاحظته في التفاتتي السابقة .. لا أذكر ان رأيت أخي مصطفى يرتدي هذه الثياب من قبل .. كما أن وزنه يبدو اكثر من وزنه .

ما الذي يحدث ؟

اسرعت الخطى .. لم يعد امامي سوى الوصول إلى مجلس الأنس .. انه المكان الوحيد الذي يوجد به اناس العودة إلى الخلف او الوقوف محفوفة بالمخاطر .. لا اجد تفسيرا لكل هذا الذي يحدث .. خاصة ان ما يسير خلفي لا ظل له وهذا لا يبعث على الاطمئنان .

آخر مرة رأيت فيها أخي مصطفى كان له ظل لا بأس به يسير معه أنا سار .. أما هذا الذي يسير خلفي بدون ظل فبالتأكيد انه شخص آخر ليس أخي مصطفى .. اسرعت الخطى .. الغريب أن المسافة بيننا لا تزال كما هي .. يبدو أنه كان حريصا على ان تظل كذلك.

لا يزال صوت الغيطة يصلني .. هذا ما يمنحني شيئا من الشجاعة لمواصلة السير .. دخلت إلى الواحة العتيق ..

لمن لا يعرف واحتي العتيقة فهي مدينة مسقوفة بالكامل .. اشبه بمتاهة .. تتداخل ازقتها وشوارعها بشكل عجيب يصعب حفظه .. يتخلل اسقف شوارعها وازقتها فتحات مربعة لدخول وخروج الهواء وضوء الشمس نهارا وشيء من نور القمر ليلا .. انها مهجورة تماما الآن .. لكن بيوتها ومساجدها بحالة جيدة .. يحلو للبعض اقامة السهرات في بيوتهم القديمة .. آخر مرة زرت واحتي كانت نهارا .. من الصعب او اصف لك كم مرة التفت خلفي متخيلا شيئ ما يلاحقني ..

هل اخبرتكم ان بشير قال لي أن القمر كان بدرا تلك الليلة ؟ .. حسنا ها أنا أفعل ذلك .

دخلت من اقرب مدخل يأتي منه صوت عزف الغيطة .. – هذا بشير مرة اخرى – حددت ذلك بسهولة ويسر .. التفت خلفي بحثا عن مصطفى او ما يتخفى على هيئته .. لم يكن خلفي .. اعتقدت انه قرر اخيرا التخلي عن فكرة ملاحقتي .. اسرعت الخطى حتى اكسب امتارا اضافية تفصلني عنه في حال قرر مواصلة ما بدأه .

اختبأت في زقاق معتم – كل ازقة واحتي معتمة – توقفت .. التقطت انفاسي بشراهة .. استعدت شيئا من هدوئي .. اعلم ان امة الخفاء تعشق العبث مع اهل واحتي .. كان ذلك مع اسلافنا .. فهل قرروا كسر الملل معي .. ولماذا انا تحديدا .

كنت بجوار زقاق تعلوه فتحة تهوية .. تسلل منها ضوء القمر .. فجأة رأيت ظلين على أرض الزقاق تحت الفتحة مباشرة .. احدهما قادم من اليمين والآخر قادم من اليسار .. يجتمعان تحت الفتحة ليكونا مصطفى من جديد .. تلفت – مصطفى – يمنة ويسرة .. كان يبحث

عن الطريق التي عليه ان يسلكها .. كنت ادعو في سري ان لا يدخل هذا الزقاق .. لحسن الحظ انه لم يفعل بل سار في طرق اخر .. كما انه من حسن ظي اني لم اصرخ رعبا وهلعا .

خرجت مسرعا عكس الاتجاه الذي سار فيه .. وصلت إلى مصدر الصوت الذي اخرجني من سريري في مثل هذا الوقت .. يبدو انهم يتوقعون قدوم امثالي من عشاق هذا الفن القديم .. لهذا تركوا الباب مواربا والمصباح مشتعلا .

دخلت واغلقته خلفي واحكمت اغلاقه خلفي بإحكام .. تنفست الصعداء ..

صعدتُ الدرج المفضية لسطح البيت .. وجدت جمع لا يقل عن ثلاثين شابا من اعمار مختلفة .. يتحلقون حول عازف الغيطة .. ستة منهم يكونون حلقة صغيرة بدفوفهم والباقي يتحلقون خلفهم .. اتخذت لي مكانا بينهم بعد ان حييتهم مشيرا بيدي ..

توقف العازف بعد ان انهى وصلة برع فيها كثيرا .. تبادلت اطراف الحديث مع الحضور ريثما يدخن العازف سيجارة ويشرب كأس شاي ويتبادل بعض النكت مع الرفاق ..

اخيرا انتهى كل هذا وشرع يعزف وصلة جديدة ..

هنا حدث ما لم اتوقعه .. صعد اخي مصطفى او ما يمكن وصفه بذلك .. جلس حيث انتهى به المجلس .. لم يلحظ احد ارتباكي واضطرابي .. تبادلنا نظرات الاستغراب طيلة ما تبقى من ليلة الانس تلك .. لا أدري ان كانوا لاحظوا وجوده معنا .

بعد عدة وصلات عزف طويلة .. لم استمتع بها .. اكتفيت بمراقبته فقط .

حان الآن موعد المغادرة .

انها لحظة فارقة وحاسمة .. تجاهلته .. وغادرت مع آخرين .. لم يثر ذلك انتباه أحد من الحاضرين على ما يبدو ..

أخيرا وصلت إلى البيت .. في سيارة صديقي صالح .. هل ذكرت لك انه كان هناك أيضا واني جلست طيلة الوقت بجواره ؟

أسرعت بإغلاق الباب بإحكام .. دخلت إلى حجرة النوم .. كان أخي مصطفى هناك .. في سريره .. لا يزال فمه مفتوحا مستمتعا بنومه .

لا أجد تفسيرا لما حدث فهل يمكنك مساعدتي ؟

الاغرب من ذلك ما حدث في اليوم التالي – هذا الكلام لي وليس لبشير – .. وجدت رسالة من مصطفى هذه المرة .. انه شقيق بشير الاصغر .. يقول فيها :

هل وجدت قصة مرعبة ؟ ..

اعتقد ان لدي واحدة .. لو أعجبتك وقررت نشرها أرجو أن لا تذكر الأسماء الحقيقية .

ارسلت له موافقا على شرطه .. بعد يوم كامل ارسل لي رسالة طويلة يروي فيها قصته .. سأختصرها بما لا يفسد احداثها .

قال مصطفى :

في تلك الليلة نمت مبكرا كعادتي .. استيقظت فجأة على غير ما اعتدت على وقع لحن غيطة تعزف في مكان ما .. كان نومي ثقيلا في

العادة واستغرق فيه باستمتاع .. احتاج لجهد كبير لاستيقظ .. مثل هذا العزف لا يمكنه ازعاجي .. اسخت سمعي .. كان عزفا جميلا .. لم اكن من عشاق هذا الفن .. لو كان اخي بشير مستيقظا لذهب فورا لمكان هذا العزف ولشنف اسماعه به وربما شارك في العزف على الدفوف فهو يحسن ذلك ويتقنه .

خطرت لي فكرة .. لما لا اذهب انا هذه المرة وفي الصباح أخبر اخي بشير .. سيكون جميلا ان يفوته مثل هذا الحفل .. سنسلى بغضبه هههه .

خرجت من البيت بعد ان لبست ثيابا ثقيلة فالجو بارد كما تعلم في شتاء واحتنا .. خرجت بعد أن حددت مكان العزف .. هل تعلم من أين كان يأتي ؟ ...

انها الواحة العتيقة .. هناك يحلو السمر دون ازعاج للآخرين .

بعد ان انعطفت في طريقي لمحت احدهم يسرع الخطى .. يبدو أنه يتجه مثلي لنفس المكان .. كثيرون يعشقون هذا الفن التراثي القديم ويحرصون على حضور حفلاته حتى لو كانت حفلات خاصة .

اسرعت لاقترب منه لنترافق .. التفت الي واسرع خطاه مبتعدا .. كان كمن لا يرغب في صحبتي .. هل تعلم من كان ذلك الشخص ؟ ..

انه اخي بشير .

نعم إنه هو لولا ان وزنه اقل قليلا وقامته اقصر .. كما ان اخي بشير قد حلق شعره بالأمس وهذا لا يزال يحتفظ به .. ما الذي يجري ؟

اثار ذلك فضولي .. سرت خلفه .. انها نفس خطوات بشير .. وكان يتجه نحو الواحة العتيقة بحماسة .. يلتفت بين فينة وأخرى ليكتشف اني خلفه .. لا اعلم هل هو خائف مني ام يتحاشى مرافقتي؟ هل هو بشير ام شخص آخر يشبهه ؟ ..

هذا ما جعلني اتبعه لأتبين حقيقته .. حافظت على مسافة آمنة بيني وبينه .. الغريب انه مر على برميل قمامة ففرت القطط منه مرعوبة .. كما ان كلبا اعرج كان يغط في نوم عميق تحسده عليه القطط .. شيئ ما ايقظه فجأة انطلق هاربا مطلقا نباحا مرعبا ..

وصلنا إلى الواحة العتيقة .. كان صوت العزف يقترب اكثر .. يبدو ان العازف ابدع في وصلته هذه .. اسرع بشير بالدخول من اقرب باب يفضي لمكان العزف .. تبعته .. من حسن الحظ ان هناك بعض المصابيح تركت مشتعلة هنا وهناك تسهيلا للراغبين في الحضور .. تكفل القمر بإنارة بعض الاماكن بنوره الشحيح المتسلل من فتحات التهوية .

الأزقة متداخلة .. هذا الحي يصعب السير فيه نهارا فما بالك ليلا في مثل هذا الظرف المخيف .. لم اتمكن من ملاحقة بشير .. يبدو انه تعمد الاسراع .. سرت متتبعا المصابيح المضيئة بحثا عن البيت المقام فيه هذا الحفل .. العودة محفوفة بالمخاطر .. ربما الاختلاط بالساهرين اكثر امنا من العودة .. علي توخي الحذر فقد يكون في اي زقاق جانبي متسترا بعتمته ..

وصلت إلى البيت أخيرا .. كان ضوء سقيفته مشتعلا .. دفعت الباب فاندفع بسهولة .. وصلتني صوت الغيطة والدفوف بوضوح الآن .. صعدت إلى سطح البيت .. حييت الحاضرين بيدي ..

جلست حيث انتهى بي المجلس .. بحثت بناظري عن شبيه بشير .. كان هناك بين اثنين .. تمعنت فيه .. انه نسخة متقنة منه لولا هذا الشعر الكثيف والمعطف الغريب .

كان بدوره ينظر إلي في شك .. مرت أكثر من ثلاث ساعات ونحن نختلس النظر لبعضنا البعض .. تواصل فيها العزف والرقص والغناء بشكل مثير .. اكواب الشاي وزعت ثلاث مرات .. اعتذر بشير في المرات الثلاثة اكتفى باختلاس النظر لي على الرغم من انه مدمن لاحتساء الشاي .. لم اكن من عشاق شرب الشاي .. لكني شربت كوبين ..

اخيرا انتهى مجلس الأنس .. أثنى الحضور المنتشي على العازف براعته وحسن عزفه .. بعد شرب كوب أخير من الشاي غادر الحضور تباعا في مجموعات .. اسرع بشير بالمغادرة مع اول فوج .. غادرت بدوري مع فوج آخر .. وصلت إلى البيت قبيل الفجر بدقائق .. أوصلني صالح .. صديقي تعرفه أليس كذلك .. إنه مهتم كثيرا بهذا الفن ويعشقه ولا يغيب عن أي محفل من محافله ..

دخلت إلى غرفة النوم .. فوجئت ببشير مستغرقا في نومه .. الغريب ان شعره كان حليقا .

لم اتحدث لأحد عن هذه الواقعة التي جرت منذ سنوات – الكلام هنا لمصطفى طبعا – لكن منشورك الأخير ذكرني بها .. لو أعجبتك وقررت نشرها فأرجو أن لا تذكر الأسماء .

هذا كل شيء – الكلام لي هذه المرة – أعجبتني القصة واثارت شيئا من اهتمامي والكثير من مخاوفي .. قررت ان اكتبها .. فها انا افعل ذلك في مقهى عام .. فمثل هذه القصص لا تكتب في مكان مغلق .. خاصة بعد ان سألت صالحا الذي ذكره الشقيقان أنه اوصلهما إلى بيتهما تلك الليلة .. فنفى ذلك بشدة .. كما نفى حضور أي منهما ذلك المحفل الذي يذكره جيدا .

طبعا لم أخبر أي من الشقيقين عما اسفر عليه استنتاجي .. وأرجو ان لا تفعلوا ذلك .

كما ارجو ان يجد أصحاب دار النشر في قصتي ما يكفي من الغرابة والرعب لتجد لها مكانا في كتابهم القادم .

البيت المهجور

إبراهيم السمري

في إحدى الإجازات الصيفية قررت أن أبحث عن عمل أستطيع من خلاله توفير مصروفات الجامعة، ذهبت إلى مدينة بعيدة عن مدينتنا كيلا يراني أحد من زملائي، طفت على المحال التجارية والمطاعم والمصانع الصغيرة حتى قبلني أحدهم، وعندما علم بأني من محافظة أخرى اشترط عليّ المبيت بالقرب من العمل ..أخذت أفكر في الأمر لأني ليس بمقدرتي تأجير مسكن، ولما رأى الحيرة ترتسم على وجهي أخبرني بأن لديه مسكنا في مخزن البضائع.

رحبت بالفكرة وبدأت عملي في العاشرة صباحاً تقريباً، كان العمل شاقاً بالنسبة لطالب جامعي لم يحمل في يده قبل اليوم سوى قلم أو كتاب، لكنني قررت مواجهة الصعاب، والتحلي بالصبر.

كانت الشمس في يوليو ترمي حممها المستعرة، والهواء الساخن يكتم الأنفاس، ويلفح الوجوه في غضب كظيم، نهار الصيف طويل فمتى يأتي الليل ليرحمني من هذا العذاب المتصل..وأخيراً جاء الغروب

على مهل كشيخ هرم يقدم خطوة إلى الأمام فتتعثر قدماه فيرجع إلى الخلف خطوتين.. تنفست الصعداء بعد أن سمعت أذان العشاء.

ناداني صاحب العمل وكان رجلاً وقوراً هادئاً، وضع في كفي مبلغاً من المال وطلب مني أن أشتري عشاء لنفسي، وأرسل معي أحد أبنائه ليدلني على مكان السكن الذي سأبيت فيه.

في الطريق إلى المسكن أخبرني الابن بأنه يتوجّب عليّ أن أشتري عشائي قبل الذهاب إلى المخزن؛ إذ إن والده طلب منه أن يغلق بوابة المخزن من الخارج بعد أن يوصلني إلى مسكني، أذعنت للأمر واشتريت عشائي وأنا لازلت بملابسي المتسخة، ذهبنا سويًّا إلى البيت.

أخذتني رجفة عندما رأيت البيت الذي يبدو مهجوراً من عشرات السنين، البيت كبير لكنه بعيد عن الشوارع الرئيسية وحركة المارة التي تشعرك بالأنس والأمان، مكون من ست غرف واسعة ، خمس منها اتخذت كمخازن للحبوب المتنوعة ، وأخرى وضع بها سرير شبابي بمرتبة من الإسفنج فرشت فوقها ملاءة لا يعرف لونها، قيل له بأنها كانت بيضاء، غرفة السكن والحمام الذي يجاورها يبدوان منعزلين

عن بقية الغرف فهما يقعان في الجهة الغربية للبيت تؤدي إليهما طرقة طويلة تمتد إلى عشرة أمتار تقريباً كأنها قبو قصر عتيق.

بابتسامة عريضة مصطنعة تظهر علامات الرضا ودّعت ابن صاحب العمل بعد أن دعوته لتناول وجبة العشاء معي لكنه رفض وتعلل بأنه ذاهب للسهر مع بعض أصدقائه.. خرج وأغلق البوابة الخارجية وراءه وأخبرني بأنه سيأتي في الصباح ليفتح لي كي يصطحبني إلى مكان العمل.

أسرعت إلى الحمام لأحصل على دش ماء بارد أتخلص به من رائحة العرق العالقة ببدني، وليمنحني إحساساً بالراحة بعد هذا اليوم العصيب، تناولت بعدها وجبة العشاء ، تلفت يمينا ويساراً أبحث عن تلفاز أو راديو أو أي وسيلة للتسلية فلم أجد شيئًا هنالك أحسست بالغربة والوحشة، لكنني سرعان ما أقنعت نفسي بأن هذا في مصلحتي كي أنام مبكرا لأستطيع التواصل مع هذا العمل الشاق والجديد على حياتي السابقة.

جو الغرفة الخانق والحرارة المحتبسة والمتسربة من السقف والجدران مضافاً إليهما حرارة الإسفنج تجعلك في جحيم تتلظى بناره الملتهبة، وتطرد عن عينيك أي نوم هانئ يقترب من ساحتها.

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة بعد منتصف الليل ومازالت عيناي معلقتين بسقف الغرفة.. شعرت بدبيب أقدام بشرية فوق السطح ، اعتدلت في جلستي على السرير ورحت أرهف السمع من جديد ، وهنا انهالت الأسئلة على رأسي كأنها سيل لا ينقطع:

ـ تُرى أيكون لصاً جاء لسرقة البضائع من المخزن؟ يا لحظي التعس..!! لماذا اختار هذا اليوم وهو أول يوم لي في العمل؟! لابد أن صاحب العمل سيظن بأني شريك لهذا اللص، وأن بحثي عن عمل لم يكن إلا خطة للوصول إلى هذا المكان، ما العمل يا ربي؟! لابد أن أدافع عن المخزن بكل ما أوتيت من قوة ، لكني لا أملك شيئًا أدافع به عن نفسي، ألم يخطر ببال صاحب العمل أن يتعرض العامل للسرقة؟! لماذا لم يتركوا لي أو غيري وسيلة ندافع بها عن أنفسنا وعن بضائعهم؟! أيجدر بي أن أصرخ مثل النساء فأنا لا أملك الآن سوى

صوتي؟! حتى لو صرخت لا أعتقد أن أحداً هنا سيسمعني، لقد ألقوا بي في غيابة جب ليس له قرار.. ما العمل إذن؟ .. لابد من حيلة!!

نزلت أسفل السرير أبحث عن أي وسيلة للدفاع، عثرت بعد جهد على مفتاح إنجليزي يستخدم في أعمال السباكة، ذهب عني بعض الخوف بعد أن حصلت على بغيتي وبعد أن توقف الدبيب فوق السطح.. أطفأت مصباح الغرفة وحاولت أن أخلد إلى النوم لكن دون جدوى ، لست أدري أهو الخوف الذي يطرد النوم عني أم تغيير موضع نومي؟!

من جديد بدأت أسمع وقع خطوات لكنها الآن في الطرقة المؤدية إلى الغرفة تأكدت من إغلاق مزلاج باب الغرفة ، ثم أضأت نور الغرفة فجأة لأرسل رسالة إلى اللص عبر الشرفة الزجاجية في الباب بأن في الغرفة من يحرس البيت، توقفت الحركة خارج الغرفة وعادت الأنفاس المحبوسة في رئتي إلى حريتها من جديد.

هدأ المكان تماماً من الحركة أحسست ببعض الأمان وما هي إلا دقائق معدودة حتى سمعت صوت مياه الصنبور في الحمام كأن أحدًا

فتح الصنبور على آخره، قلت في نفسي لعل اللص يستدرجني للخروج من الغرفة ليفاجئني بضربة غير متوقعة ، فكرت كثيراً قبل الخروج لكني أمام الشلال المتدفق من المياه قررت الخروج قبل أن يغرق البيت وتغرق الحبوب معه، تحلّيت بالشجاعة وأمسكت بالمفتاح الإنجليزي في يدي اليمنى آخذا وضع الاستعداد لمواجهته بضربة مباغتة، فتحت باب الغرفة في هدوء وتسللت على أطراف أصابعي حتى وصلت إلى الحمام فوجدت الصنبور مغلقاً، أغلقت المحبس المؤدي إليه جيداً وعدت إلى غرفتي.

سمعت أنيناً يصدر من آخر الطرقة، ثم صوت سيارة تدخل إلى المخزن أعقبه صوت مكابح السيارة تصرخ ثم ترتطم بحائط ، حينئذٍ شعرت بتنميل في جلد رأسي، إن ما يحدث الليلة ليس بأمر طبيعي ، جذبت السرير خلف باب الغرفة ووضعت فوقه كرسياً عتيقاً وجلست على طرفه الخلفي في حذر..!

أيقنت بأنني كنت مخطئاً عندما تمنيت أن يأتي الليل بسرعة لم أكن أعلم أنه سيكون أشد وطأ وأكثر إرهاقاً.. عادت الأصوات

تتسلل إلى أذني في صمت الليل الرهيب صوت أحمال تنقل وتوضع فوق سيارة ، عدت إلى ظني الأول لعلهم لصوص استطاعوا فتح البوابة ودخلوا بسيارتهم لنقل البضائع بعد أن تأكدوا بأنني لذت بالغرفة هلعا وخوفا.

فتحت باب الغرفة وتسللت عبر الطرقة إلى أن وصلت إلى الدهليز المؤدي إلى المخازن قررت أن أتسلل في خفاء وأخرج إلى الشارع لأذهب إلى صاحب العمل وأخبره قبل أن ينتهوا من أعمالهم ، وصلت إلى البوابة الخارجية دون أن يلحظني أحدهم لكنني وجدت البوابة مغلقة، قررت أن أحدث ضجيجا بالمكان لعل أحد المارة يسمعني، جعلت أقرع البوابة بالمفتاح الإنجليزي وأصرخ بأعلى صوتي، وصل شاب وسيم إلى البوابة طلبت منه أن يذهب إلى صاحب المخزن؛ لأنه يتعرض للسرقة، لم يأبه لكلامي واستطاع أن يمر من البوابة ودلف إلى الداخل، مضى أمامي نحو المخزن في صمت وأنا خلفه أقص عليه ما حدث لكن شيئاً ما استوقفني.. هذا الشاب غريب الأطوار سوالفه العريضة وياقة قميصة العريضة أيضا وبنطاله المتسع

عند القدم ، هذه الملابس كانت منتشرة في السبعينات من القرن الماضي وقف أمامي في خشوع لا ينطق بكلمة، انقطع التيار الكهربائي فجأة وجدتني أتشبث به من الخوف ..تمزّق قميصه من الخلف في يدي، فرأيت في ضوء القمر المتسلل عبر الدهليز أخاديد في ظهره تتفجر منها الدماء فرجعت إلى الخلف فزعاً ، وسألته:

ـ ما هذا الذي أرى؟!

استدار نحوي في صمت وفجأة سقطت رأسه على الأرض أسرعت نحو البوابة الخارجية ولازال جسده يتبعني بلا رأس، جذبت البوابة بعنف، لكنها لازالت مغلقة صرخت صرخة مدوية، ثم سقطت على الأرض..

انتبهت على صوت تلفاز يصل إلى مسامعي من غرفة مجاورة ، دققت النظر فيما حولي وجدتني في غرفة واسعة منظمة ومرتبة مختلفة تماماً عن الغرفة التي كنت فيها بالأمس تحسست رأسي ووجهي فشعرت ببعض الآلام نظرت في مرأة أمامي فوجدت بعض الكدمات بهما، فأيقنت بأنه لم يكن كابوساً بل حقيقة..!

قرع صاحب الغرفة الباب واستأذن في الدخول فوجدته ابن صاحب العمل اعتدلت في حياء وخجل وسألته:

ـ أين أنا الآن؟ ومنذ متى وأنا هنا؟!

أجاب بابتسامة :

ـ لا تقلق يا صديقي أنت الآن في غرفتي منذ الخامسة صباحاً، أي منذ سبع ساعات تقريباً.

ـ ما الذي جاء بي إلى هنا؟

ـ بعد صلاة الفجر جاءنا رجل يسكن قريباً من المخزن وأخبرنا بأنه سمع صراخاً وأصواتاً لتحطيم البوابة في المخزن فجئنا مسرعين ووجدناك مغشياً عليك خلف البوابة.

قصصت عليه ماحدث لي البارحة.. ابتسم في هدوء وقال: إن هذا المخزن كان بيتاً لشاب مات في حادث سيارة انقلبت به قبل زفافه بأسبوع واحد، وقد مضى على هذا الحادث سنوات عدة هكذا سمعت من والدي لأني لم أره.

شكرته على ما أسداه إليّ من معروف، وقررت العودة إلى بلدي أبحث عن عمل قريب وأعود للمبيت في بيتي وبين أهلي، فلم أعد أكترث برؤية زملائي لي مادمت لم أفعل شيئاً أخجل منه.